

فى ذكرى

الهجرة الى المدينة المنورة

محاضرة ألقاها بالجمعية التعاونية للبتروك

٢٧ يناير ١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المستمعون الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو العليم الحكيم . وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد وهو أعظم الرسل الكرام شأننا وأكثرهم تابعا وأشدهم عزما وأرسخهم قدما وأبركهم هجرة وارفعهم ذكرا وأبقاهم أثرا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، ولا عجب أن يكون هذا شأنه وقد قال له ربه عز وجل قوله الخالد (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) . ورضى الله عن آله الأطهار وصحبه الأخيار من المهاجرين والأنصار ، وعمن والاهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعن شيوخنا الأجلاء أجمعين .
أيها الأحباب

إني أشكر مجلس إدارة الجمعية التعاونية للبتروول ، فقد أسعدني بدعوته الكريمة لإلقاء هذه المحاضرة في مناسبة العام الهجري الجديد ، فأتاح لي فرصة جميلة للاجتماع بكم على نكري الهجرة النبوية السعيدة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وهي نكري مجيدة تشد أرواح المسلمين في كل عام ، بل على الدوام ، إلى أرض النور من الحرمين حيث أشرق نور الإسلام على العالمين ، فمشوا بنوره على الصراط المستقيم ، صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما .
أيها الأعزاء

إن تاريخ الهجرة يعرفه بالتفصيل الكثيرون مما فرأوا عنه فى كتب السيرة النبوية ، أو استمعوه من إذاعات بلادنا والبلاد الإسلامية الشقيقة زادها الله قوة ومجدا ، بل إنى كلمتكم من قبل بإفاضة فى تاريخ الهجرة فى هذه القاعة المباركة . وأريد اليوم أن أكلمكم فى ذلك التاريخ باختصار ، لأحدثكم بعد ذلك فى خوافى الهجرة والدروس المستفادة منها ، لأن خوافيها ذات أثر بالغ فى التربية الإسلامية ، ونحن فى أشد الحاجة إليها فى وقتنا الحاضر الذى يتعرض فيه المسلمون لعداوات ظاهرة وخفية من أعدائهم الذين يريدون بالإسلام كيذا فى ثوب آخر غير الأثواب السابقة التى مزقناها على أعدائنا فى الحروب الصليبية ، وتم فى الماضى لنا النصر بعون الله ، واتحاد القوى ، وجهادنا الرائع ، وقتالنا الباسل ، وبقيت بلادنا الإسلامية العزيزة على رغمهم مرفوعة الرأس موفورة الكرامة بذلك النصر المبين الذى تشهد به كتب التاريخ على مر القرون والأعوام .

التاريخ يعيد نفسه :

ولقد صدق من قال : إن التاريخ يعيد نفسه ، فقد عاد اليهود لقتالنا

فى سنة ١٩٦٧ وكانت لنا فى تلك السنة كبوة وكانت لهم غلبة موقوتة
ظنوها دائمة فأثبتنا لهم وللعالم أجمع فى الحرب الأخيرة التى قامت فى عشرة
من رمضان الفائت وستة من أكتوبر الماضى، أنهم كانوا فى ظنهم واهمين ،
فكنا بفضل الله الغالبين وكانوا هم المغلوبين المدحورين .
أيها الأعزاء

إن موقفنا الأخير من أعدائنا اتصل حين تعاونت البلاد العربية فى
إخاء إسلامى بآثار الهجرة النبوية الميمونة إلى المدينة المنورة فكان لنا
بذلك الاتصال قوة فى النضال لم تكن فى البال ، لا عند الأعداء ولا عند
الأصدقاء ، بل ولا عند الكثيرين منا فكيف كان ذلك ؟ إليكم التفصيل
بعد الإجمال.

الصبر مفتاح الفرج

علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف " الصبر مفتاح
الفرج " أن نصبر على الشدائد إذا تعرضنا لها ، لأنها من سنة الحياة ،
وعلمنا أن ننتظر الفرج بعد الشدة إذا صبرنا صبرا جميلا ، والصبر جميل
هو الذى لا شكوى منه ولا ضجر فى قلوبنا ولا على ألسنتنا ، لأن
القضاء ينزل من السماء ، ولا يقع فى ملك الله إلا ما شاء ، رضى الناس
أو كرهوا ، وقد يكون فيما نكره خيراً يعلمه ولا نعلمه ، بدليل قوله
تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو
خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وقد صبر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه أعواماً طويلاً على أذى الكفار بمكة . وكان ذلك الصبر الجميل لا عن ضعف أو استكانة أو ذلة ، حاشا وكلا ، بل كان طمعاً فى أن ينوب أهل مكة إلى رشدهم ويرجعوا عن باطلهم إلى الحق ، ولكنهم لجوا فى عتو ونفور ، وفى كبر وغرور ، حتى هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ذنب منه ولا من المسلمين ، إلا أن يقولوا ربنا الله .

وقد ضمن سيدي العالم العارف الشيخ أحمد الحلوانى (والد شيخنا سيدي الشيخ عبد السلام الحلوانى) رضى الله عنهما الحديث الشريف " الصبر مفتاح الفرج " فقال :

سلم لربك ما قضى واصبر إذا اشتد الحرج

وانكر حديث المصطفى الصبر مفتاح الفرج

وفى غصون الشدة التى لقيها المسلمون الأولون بمكة كان الله يرتب لهم أسباب الفرج ، والنصر على أعدائهم بالسيف فى غزوات متوالية ، وهم لا يشعرون ، فقد أسلم من أهل المدينة عشرات من الأنصار حين بلغتهم دعوة الإسلام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يبلغ دعوته فى المواسم لقبائل العرب ويقول لهم . كما روى بسنده ابن إسحق :

" يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى حتى أبين عن الله ما بعثنى به " .

وكان عمه أبو لهب - لعنه الله - يصد الناس عنه ويقول لهم :
لا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه ، فإنما يريد أن تتركوا اللات والعزى .
وفى رواية موسى بن عقبة عن الزهري : " كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم
ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه
ويقول :

" لا أكره أحدا منكم على شئ ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه
فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزونى فيما يراد لى من
القتل حتى أبلغ رسالة ربي وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى
بما شاء " .

قال : فلم يقبله أحد منهم، وما يأتى أحدا من تلك القبائل إلا قال :
قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد
قومه ولفظوه .

سعادة الأنصار :

لكن السعادة كانت مخبوءة عند الله لساداتنا الأنصار من أهل
المدينة ، فاستجاب له فى بادئ الأمر ستة نفر من الخزرج والأوس ،
وكان أول من أسلم من الخزرج أسعد بن زرارة . ومن الأوس أبو الهيثم
ابن التيهان ، رضوان الله عليهم أجمعين .

فتنة اليهود :

وكان الأوس والخزرج أخوان فى الأصل ، لكن يهود المدينة فرقوا فى الجاهلية بينهما بالدس والوقية حتى قامت بين الفرعين العداوة والبغضاء ، بل وكانت بينهما حروب فى الجاهلية قبل الإسلام .

كيف أفاد اليهود العرب :

ويقول ابن إسحاق فى إسلام هؤلاء الأنصار الأوائل رضى الله عنهم : وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن اليهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان .

فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا (أى اليهود) : إن نبيا مبعوثا الآن قد أظلم زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

قال : فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه النبى الذى توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوه لما دعاهم إليه ، بأن صدقوا وقبلوا منه ما دعاهم إليه ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا راجعين إلى

بلادهم قد آمنوا وصدقوا . أقول : فأعجب كيف انتفع هؤلاء السعداء من علم اليهود ، بينما لم ينتفع اليهود أنفسهم ما علموه من التوراة ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد .

بيعة العقبة الأولى :

قال ابن إسحاق : وفشا الإسلام فى المدينة حتى إذا كان العام المقبل وفى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، عشرة من الخزرج واثان من الأوس ، وقد اجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى منى وبايعوه ببيعة العقبة الأولى ، ويقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه :

كنت ممن حضر العقبة الأولى . وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب : على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفىتم فاكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا ، فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر " وقد روى البخارى ومسلم ذلك الحديث .

أول سفير فى الإسلام :

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير . رضى الله عنه . وأمره أن يقرئهم

القرآن ويعلمهم الإسلام . ويفقههم فى الدين ، فنزل على أسعد بن زرارة ضيفا فكان يسمى فى المدينة المقرئ ، وكان يصلى بهم إماما .
انتشار الإسلام بالمدينة :

وقد كان سيدنا مصعب بن عمير رضى الله عنه موقفا فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فانتشر الإسلام على يديه فى المدينة . ولما حان موسم الحج عاد إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار . مع حجاج قومهم من أهل الشرك . حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتمعوا به عند العقبة فى أواسط أيام التشريق .

صدق الصحبة والوفاء :

وفى ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : . . . ثم ائتمرنا جميعا (أى الأنصار) فقلنا : حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويتردد فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا يا رسول الله ،
 علام نبايعك ؟

بيعة العقبة الثانية :

قال صلى الله عليه وسلم : " تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط

والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم ، وعلى أن تصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة " .

قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم فقال : رويدا يا أهل يثرب (المدينة) فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل ألا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجهم اليوم مناواة للعرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فبينوا ذلك فهو أعدل لكم عند الله .

قالوا : أمط عنا يا أسعد ، فوالله لاندع هذه البعة ولا نسلبها أبدا .
قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة .
اعتزاز وحب خالص :

وقبل أن يمد القوم أيديهم للبيعة قال أبو الهيثم بن التيهان رضى الله عنه والقوم متأهبون للبيعة : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالا وإننا قاطعوها ، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " بل الدم الدم ،

والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم " فأنظروا كيف بلغ بهم الإعتزاز بأن يبقى بينهم فى المدينة على الدوام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف رأوا فى بقاءه بينهم سعادتهم ، وأنظروا كيف وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن وفوا له ، فقابل الجميل بالجميل والإخلاص بالإخلاص .

شجاعة الأنصار :

ويقول ابن هشام فى سيرته : وقد قال العباس بن عباد بن نضلة رضى الله عنه بعد أخذ البيعة عليهم : يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فإنا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . فلم يشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحارب أعداءه قبل أن يأذن الله تعالى بقتالهم .

الهجرة إلى المدينة المنورة :

قال ابن إسحق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله تعالى : (إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) وتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه

وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم الأئصار . وقال : " إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تآمنون بها " فخرجوا إليها أرسالا (أى جماعات متتابعين) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

أول المهاجرين :

وكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحابه الكرام أبو سلمة ابن عبد الأسد . وهو من بنى مخزوم من قريش ، وقد هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش بعد رجوعه من الحبشة التى كان هاجر إليها مع أكثر من ثمانين من السابقين الأولين من المسلمين ، وكانت هجرتهم إلى الحبشة فى السنة الخامسة من البعثة النبوية حين اشتد إيذاء الكفار لمن أسلموا بمكة ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه " . وكان أول هؤلاء السابقين هجرة إلى الحبشة سيدنا عثمان بن عفان والسيدة زوجته ، وهى سينا رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " صحبهما الله ، إن عثمان بن عفان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام " .

التضحية فى سبيل الله : وكان شعار المهاجرين إلى الحبشة الذى تغنى به حادى إبلهم
وهم خارجون من مكة :

الأهل والأوطان فراقهم صعب
لكنه الإيمان فداؤه القلب
والروح والأبدان فليقبل الرب
فليقبل الرب

أما شعار المهاجرين ألى المدينة فقد أفصح عنه أبو أحمد بن جحش
وكان ضريرا وشاعرا فقد قال رضى الله عنه عند هجرته إلى المدينة بعد
أبى سلمة رضى الله عنه .

إلى الله وجهى والرسول ومن يقيم إلى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حبيب مناصح وناصحة تبكى بدمع وتندب
ترة أن وترا نأينا عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائب نطلب
ورعنا إلى قول النبى محمد فطلب ولاة الحق منا وطيبوا
أقول : وقد صدق سيدنا الإمام على كرم الله وجهه حين قال :
" لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى " وصدق شيخنا العارف بالله سيدى
الشيخ على عقل رضى الله عنه فى قوله المرتجل إلهاما :

أتريد أن ترقى بغير مشقة

لولا المشقة لا تنال علاه

طاعة رسول الله واجبة :

وليس لمؤمن أن يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ، فقد قال تعالى فى وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم (من يطع الرسول فقد أطاع الله) كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

ويعقب العلماء على الآية الأخيرة تعقيبا فيقولون إن الله تعالى كرر مع الرسول كلمة " أطيعوا " لتكون للرسول طاعة مستقلة إذا أمرنا بأمر لم يرد فى كتاب الله تعالى ، ولم يكررها مع ولادة الأمور لتكون طاعة المؤمن لولادة الأمور فيما يتفق مع أحكام الشرع ، فإن أمرونا بأمر لا يتفق مع الكتاب والسنة فلا طاعة لهم علينا ، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ولذلك كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يقول : " أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم " .

الحكم بما أنزل الله :

وكذلك يقول العلماء فى تفسير قوله تعالى (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) : إن الرد إلى الله يكون بالرجوع لكتاب الله ، والرد للرسول صلى الله عليه وسلم كان بالرجوع لشخصه الكريم

فى حىاته ، وىكون بعد وفاته بالرجوع لسنته الشرىفة . وىضىف العلماء إلى ذك قولهم : إن صىغة الكلام شرط فى سىاق نكره (فإن تنازعتم فى شىء) وهى تفىد الشمول فكأنه تعالى ىقول : ما من شىء تتنازعون فىه إلا وىدتم حكمه فى كتاب الله تعالى وسنة نبىه صلى الله علیه وسلم ، فلا تحكموا إلا بما أنزل الله سبحانه فى شرعه القویم ، وذلك خیر لكم من قوانین البشر الوضعية ، وسنرى إن شاء الله تعالى قریبا نهضة تشرىعية تستمد أحكامها من الشرىعة الاسلامیة الغراء ، وستكون بلادنا العزیزة رائدة لغيرها من بلاد المسلمین فى هذا الشأن بفضل الله تعالى

مدخل صدق :

هذا وقد أذن الله تعالى لرسوله صلى الله علیه وسلم بالهجرة إلى المدینة فى قوله سبحانه (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصیرا) وقد قال قتادة رضى الله عنه فى تفسیرها : (مدخل صدق) أى المدینة (ومخرج صدق) أى الهجرة من مكة (وأجعل لى من لدنك سلطانا نصیرا) أى كتاب الله وفرائضه وحدوده .

المفاضلة بین مكة والمدینة :

أقول : وقد احتج من فضلوا المدینة على مكة بأن الله تعالى قدم المدینة فى الآیة المذكورة على مكة ، حیث قدم (مدخل صدق) على (مخرج صدق) ولو كان الترتیب طبیعیا لقدم المخرج على المدخل حیث

يبدأ الإنسان بالخروج وينتهي بالدخول . وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يفضل المدينة على مكة وتابعه فى ذلك التفضيل الإمام مالك رضى الله عنه ، أما غيره من الأئمة ففضلوا مكة ، ونحن نعتز بهما معا ، ونهتز لذكراهما ، ونردد فى اعتزازنا واهتزازنا قول فيلسوف المسلمين الشاعر الباكستانى العظيم المغفور له السيد / محمد إقبال طيب الله ثراه إذ يقول . فيما ترجمه عنه إلى العربية صديقى العبرى الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره :

يا أرض النور من الحرمين ويا ميلاد شريعتنا
أرض الإسلام ودوحته فى أرضك نماها دمننا
إن اسم محمد الهادى روح الآمال لنهضتنا
كما نردد قول الأديب الكريم الراحل السيد / عبد الله عفيفى أوسع الله له فى رضوانه :

مهبط الوحي أنت مهبط قلبى وحمى الله أنت موطن حبى
يا ديار الحبيب والدار تنبى حدثينى عن النبى ونبى

عن إمام الأنام فرعا وأصلا

وكذلك نردد قول إمام المسلمين الأكبر فى القرن السابع الهجرى سيدى ابن دقيق العيد رضى الله عنه :

قف بالمنازل والمناهل من لدن وادى قباء إلى حمى أم القرى
وتوخ آثار النبى فضع بها متشرفا خديك فى عفر الثرى
وإذا رأيت منازل الوحي التى نشرت على الآفاق نورا أنورا
فاعلم بأنك ما رأيت شبيهه مذ كنت فى ماضى الزمان ولا يرى

وأخيرا نردد قول شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل
طيب الله مرقده حين قال إلهاما لوقته وارتجالا مما نقلناه عنه ، وكان
رضى الله عنه من أولياء عصرنا المباركين ، وله على فى تربيتى الدينية
فضل لا ينسى ، جزاه الله عنى خيرا كثيرا :

دع زمانا مضى وعدبى لأرض	شغفتنى بنورها المتلالى
بين ببداء روعت ووهاد	وذئاب تختال فى إقبال
ونجوم مثل الحباب على الكأس	تسامت أو كالحلى واللالى
قيل ماذا تريد من هذه الأرض	أتبغى البقاء فى جمع مال
قلت والله غير أحمد مالى	بعد رب العباد من آمال
يا حبيبى رضاك دنيا ودين	فهما بأتباعكم صحا لى
نفحتنى منكمو نفحة الخير	وقد طابت منكمو آصالى
يا جميلا ما مثله من جميل	كان للبدر منك فضل الجمال
مدح خير الورى أحب لنفسى	من أنيسى وصاحبى وعيالى
بل ومنى ومن جميع البرايا	لحماء الحياة أزجى رجالى

مؤامرة فاشلة :

قال ابن إسحاق : فلما رأيت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد صارت له شيعة وأصحاب من غير بلدهم ، ورأوا خروج
أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا
منهم متعة .

فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمره حين خافوه ، فتشاوروا فى ثلاثة آراء ، إما أن يحبسوه فى الحديد ويغلقوا عليه بابا ، ثم يتربصون ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله حتى يصيبه ما أصابهم من الموت ، وإما أن ينفوه من مكة ، فإذا خرج منها لم يبالوا أين ذهب ولا حيث وقع . وإما أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا ثم يعطوا كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ويسترحوا منه ، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر قومه على حربهم مجتمعين ، فرضوا بالدية فدفعوها إليهم .

وقد رجحوا الرأى الأخير لأنهم رأوا أن قومه سوف لا يسمحون لهم بحبسه بل سيسعون لخلصه ، ونفيه خارج مكة سيعطيه فرصة لنشر دعوته لحسن حديثه وحلاوة منطقه ، فتفرقوا وهم مجمعون على قتله .

أقول : وهذه المؤامرة الفاشلة هى التى يشير إليها قوله تعالى : (وإذ يكره بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ومكر الله هنا معناه انتقامه منهم ، لأن اخلاق الله لا تشبه أخلاق خلقه ، لأنه سبحانه متصف بكل كمال ومنفى عنه كل نقص ، لا إله إلا هو الكبير المتعال .

كيف فشلت المؤامرة :

أراد الله سبحانه أن يحبط كيد الكافرين ويحمي من كيدهم رسوله الأمين ، فأرسل إليه جبريل عليه السلام فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه ، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، قال ابن أسحق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب ، كرم الله وجهه : " نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

قال : فخرج رسول الله عليه وسلم من بين أعدائه الذين اجتمعوا خارج داره لقتله ، وأخذ الله على أبصارهم فلم يروه ، وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حنفة من تراب فى يده ونثرها على رؤوسهم وهو يتلوا الآيات الأولى من سورة يس إلى قوله تعالى : (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون هنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ، فما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على من الفراش فقالوا : والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا ، ولم يحاولوا أن يقتلوا النائم لأن العرب كانوا يستقبحون قتل النائم ، وهذا ما يفسر لكم كيف انتظروا النائم حتى يستيقظ ، فلما استيقظ لم يجدوه هدفهم ، وقد أرادوا برسول الله كيذا فنجاه الله ووقاه مصداقا لقوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) صلوات الله وسلامه عليه .

وفى نومه مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه :
فديت بنفسى خير من وطئ الثرى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

معجزة العنكبوت والغار :

وقد اختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار بجبل ثور ثلاث ليالى سويا ، وسعد بصحبته فى الغار سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه الذى كان رفيقه فى الهجرة المباركة ، وقد تتبع الكفار الأثر حتى انتهوا إلى باب الغار ، ولكن الله تعالى حمى رسوله وصاحبه منهم فنسج العنكبوت نسجة حتى سد باب الغار ، وباضت حمامتان على باب الغار فلم يدخلوا

الغار ، بل قالوا : إن عليه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ، وهكذا ظهرت آية الله فحمى سبحانه أكرم خلقه ، بأضعف خلقه (إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) .

والى هذه الحماية التى نصر الله فيها حبيبه ومصطفاه على أعدائه صلى الله عليه وسلم يقول تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى أثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينه عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) وما أعظم الشرف الذى ناله سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد ثبتت صحبته بنص صريح فى القرآن الكريم ، فمن أنكر صحبته فقد كفر والعياذ بالله .

وإذا دققنا النظر فى هذه الآية الكريمة لوجدنا سيدنا أبا بكر ذكر فيها خمس مرات ، وذلك بأنه ثانى أثنين ، وهو أحد أثنين فى الضمير هما ، ومشار إليه بالضمير الوارد فى صاحبه ، كما أنه المقصود فى الضمير المستتر لا تحزن ، أى أنت يا أبا بكر ، وأخيرا هو داخل فى المعية العلية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (معنا) .

ثانى أثنين :

كما أن قوله تعالى : (ثانى أثنين) أخذ منها أهل الفطنة أنه سيخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حكم الأمة فأختاروه للخلافة الأولى .

ولا تنسوا أنه كان ثانى اثنين فى الإسلام فهو أول من آمن من الرجال بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ثانى اثنين فى الهجرة ، وكان ثانى اثنين فى إمارة الحج (وأول أمير للحج كان عتاب بن أسيد رضى الله عنه الذى عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة) وآخر المطاف كان ثانى اثنين فى القبر النبوى الشريف ، فما أسعد جواره فى الدنيا والآخرة رضى الله عنه وعن سائر الصحابة الأعلام ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ونشروا دعوة الإسلام فى المشارق والمغرباب ابتغاء مرضاة الله .

وقد قال العلماء : " وما صحب النبيين والمرسلين مثل أبو بكر رضى الله عنه " .
ويقول سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه فى فضل سيدنا أبى بكر رضى الله عنه .

إذا تذكرت شجوى من أذى ثقة فاذكرك أخاك أبا بكر بما حملا
الثانى التالى المحمود سيرته وأول الناس قدما صدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
والى معجزة العنكبوت والحمامتين اللتين باضتا على باب الغار يقول
سيدى الإمام البوصيرى رضى الله عنه برده الشهيرة المباركة :

فالصدق فى الغار والصدىق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرام
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم
معنى لا تحزن :

وقد أحس سيدنا أبو بكر بالأعداء الكافرين وهم خارج الغار .
فقال : " يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ، فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن
إن الله معنا " فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رابط الجأش قوى
اليقين بالله ، فلم يخف من الأعداء أى أذى . وعندما قال صلى الله عليه وسلم
لسيدنا أبى بكر (لا تحزن) قال له سيدنا أبو بكر : " يا رسول الله : إذا
مت أنا ، فأنا رجل واحد ، وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين " .
أما والله ما على نفسى أثل (أى أحزن) ولكن مخافة أن أرى فىك
ما أكره ، ومن ذلك يتبين لنا أن حزنه رضى الله عنه كان خوفا على
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن على نفسه ، وهذا ما يكشف لنا عن
صدقه وإخلاصه وحبه الأكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللإسلام
والمسلمين ، رضى الله عنه وأرضاه . ومن ذلك ندرك أنه لا يكمل إيمان
المسلم حتى يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه وأهله
وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) .

سعادة أبى بكر :

وفى سعادة أبى بكر رضى الله عنه بصحبة رسول الله صلى الله عليه

وسلم فى الغار ، يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعده

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كنت أحب أن يكون لى يومان من أيام أبى بكر بحياتى كلها ، يوم أن صحب الرسول فى الغار ، ويوم أن خالفنا فى حرب أهل الردة ، وهم الذين امتنعوا عن أداء الزكاة التى كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرر سيدنا أبو بكر أن يحاربهم حفاظا على ركن من أركان الدين وكان الصحابة يتخوفون من حربهم فخالفهم فى رأيهم وقرر الحرب وانتصر .

من طرائف أبى بكر رضى الله عنه :

وأثناء السفر إلى المدينة المنورة كان بعض الناس يسألون سيدنا أبا بكر عن معه فيجيبهم فى طرافة وبراعة ويقول : إن معى هاديا يهدينا إلى الطريق ، ولا يصرح لهم بأنه رسول الله خوفا عليه صلى الله عليه وسلم من أذاهم ، وكذلك كان رضى الله عنه يتقدم بناقة رسول الله حينما ويتأخر بها حينما : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر أراك تتقدمنى حينما وتتأخر عنى حينما ، فقال يا رسول الله : أذكر الرصد فأتقدم لأفديك ، وأذكر الطلب فأتأخر لأفديك .

متى كانت الهجرة :

قال ابن إسحق : وقد كانت هجرته صلى الله عليه وسلم فى شهر

ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته ، وبقي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بالمدينة عشر سنوات حتى لحق بالرفيق الأعلى وسعدت المدينة بمثواه .

وقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء (فى ضواحي المدينة) فى ضحى يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ونزل ضيفا على بنى عمرو بن عوف ، وأبث فيهم بضع عشرة ليلة وأسس فى قباء أول مسجد فى الإسلام ، وهو على ما ذهب إليه بعض المفسرين المشار إليه فى قوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وإن كان الأمام مالك رضى الله عنه يرى أن الآية تشير إلى المسجد النبوى بالمدينة ، وحجته التى أستند إليها هى أنه قال لسائليه : أين كان يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فأل حسن :

وعندما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا ، نادى المضيف عمرو بن عوف ، رضى الله عنه ، خادمه فقال : يا نجيج ، فتفاءل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لصاحبه أبى بكر رضى الله عنه : نجحت يا أبا بكر ، وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يتفاءل ، ولم يكن من عادته أن يتشاءم ، ونهى عن التشاؤم .

الركوب إلى المدينة المنورة :

وبعد أن أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء وصلى فيه ، ركب ناقته وأردف خلفه سيدنا أبا بكر رضى الله عنه ليدلهم على مكانته ، وسار إلى المدينة فكان القوم يتنازعون أيهم ينزل عليه ضيفا فيمسك كل منهم الناقة ويقول : إنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك ، فما أرق الأخلاق النبوية الشريفة وأدقها . وفى ذلك يعلمنا صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام ومودتهم .

ترحيب الأنصار :

وفى الصحيحين عن أبى بكر رضى الله عنه قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت ، والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله .
وروى البهيقى بسنده : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

من ثنيات الوداع	طلع البدر علينا
ما دعا له داع	وجب الشكر علينا

شكر النعمة :

أقول وفى هذه الأغنية قدر المغنون بها فضل الله عليهم فى إرسال رسوله بالهدى ودين الحق ، ويوجبون على أنفسهم شكر هذه النعمة العظمى ، وقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة سبحانه : عبدى لم تشكرنى ما لم تشكر من أجريت النعمة لك على يديه ، والله سبحانه يذكرنا بنعمته علينا فى إرسال رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى ممتنا علينا به : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ولا تعجبوا أن يمن الله تعالى علينا به صلى الله عليه وسلم وهو القائل فى شأنه العظيم : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

سعادة أبى أيول الأنصارى :

وكان كلما أمسك القوم بزمام الناقة وهى سائرة ليستضيفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم : دعوها فإنها مأمورة " أى أنها ستلهم أين تنزل ، وقد بركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه (وهو من بنى النجار) فتمت له السعادة بهذه الضيافة التاريخية الفريدة . وقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يسارع فى هواك " فقد أراد أن ينزل ضيفا على بنى النجار

فبركت الناقة أمام دارهم وصدق سبحانه إذ يقول له (وكان فضل الله عليك عظيما) .

ترحيب بنات بنى النجار :

وعند نزوله صلى الله عليه وسلم ضيفا على سيدنا أبى أيوب الأنصارى
رضى الله عنه ، خرجت جوارى بنى النجار يضربن الدفوف وهن يقلن :
نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار
فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتحبوننى ،
فقالوا : إى والله يا رسول الله ، فقال : وأنا والله أحبكم ، وأنا والله
أحبكم ، وأنا والله أحبكم " فانظروا إلى تواضعه وخروجه إلى جوار
رحبن به ، وتأملوا فى وفائه الذى حمله على أن يقسم بالله ثلاث مرات
أنه يقابل حبهم بحبه ، فما أسعد بنى النجار وبنات النجار وجوار بنى النجار .
وفى هذه المناسبة أقول لكم إن سيدنا أبى أيوب الأنصارى استشهد
فى معركة القسطنطينية ودفن بها وقبره هناك ملحق بمسجده الشهير الذى
كان العثمانيون الأتراك يتقلدون فيه الخلافة واحدا بعد واحدا .

بين ابن عباس وأبى أيوب :

وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقدر لأبى أيوب فضله باستضافة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة أشهر حتى بنى مسجده النبوى

وداره المباركة حتى إنه حين وفد أبو أيوب على ابن عباس وهو وال على البصرة من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، خرج ابن عباس لأبي أيوب عن داره وأنزله فيها ، بل وملكه كل ما أغلق عليه بابها .

المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار :

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وقال لهم : " تآخوا في الله أخوين أخوين " وخص الإمام عليا كرم الله وجهه بشرف إخائه الشخصي صلى الله عليه وسلم وقال له : " أنت أخى " فما أعظم الشرف .

وقد علمنا الله في القرآن الكريم مزايا الإخاء بين المسلمين فقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ولئن كانت هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . كما أنه تعالى يقول (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحموا) وتأملوا في قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان

مرصوص (وذلك البنيان هو ما يشير إليه الحديث الشريف " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " .

وقد لمسنا فى حربنا الأخيرة حرب ١٠ رمضان الفائت بركة الإخاء الإسلامى وكنا فى حربنا وسلمنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وهما هم أعداؤنا ينسحبون إلى الوراء كخطوة أولى وسيتلو ذلك الانسحاب الكامل إن شاء الله بتوفيق الله وعونه ونصره .

مؤتمر القمة الإسلامى :

وقد انعقد مؤتمر القمة العربى فى الجزائر وكان له من صداه فى العالم ما كان ، وعماق قريب سينعقد مؤتمر القمة الإسلامى فى لاهور بالباكستان ليؤكد للعالم أن الإخاء الإسلامى قائم كذلك بين جميع المسلمين من العرب والعجم ، وليثبت بالدليل القاطع أن الإسلام دين واحد ووطن واحد وان تعددت الأجناس واللغات ، ووطن الإسلام العالمى يرفرف عليه علم شامل هو علم : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويقول فى هذه الوحدة العالمية السيد / محمد إقبال ، طيب الله ثراه .

الصين	لنا	والهند	لنا	والعرب	لنا	والكل	لنا
أضحى	الاسلام	لنا	دينا	وجميع	الكون	لنا	وطنا
بنيت	فى الأرض	معابدها		والبيت	الأول	كعبتنا	
توحيد	الله	لنا	نور	أعدنا	الروح	له	سكنا

وآذان المسلم كان له في الغرب صدق من همتنا

دروس أخرى من الهجرة وتآخي المهاجرين والأنصار :

وقد لقننا التآخي الأول الذي أقامه بين المهاجرين والأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم دروسا أخرى قيمة منها :

أولا - إيثار الله تعالى على ما سواه :

فقد ترك المهاجرون ديارهم وأموالهم وأهليهم نصرا لله ورسوله ، لا يبتغون بذلك إلا رضوان الله ، ويشهد لهم بذلك قوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) فانظروا كيف شهد الله لهم عز وجل بالصدق في أعمالهم ونياتهم وتضحياتهم في محبة الله .

ثانيا . اتقاء البخل والتحلّي ببذل الأموال في سبيل الله :

ويشهد سبحانه وتعالى لساداتنا الأنصار بسخائهم وكرم أخلاقهم وصفاء مودتهم لإخوانهم المهاجرين فيقول سبحانه (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فتأملوا كيف أثبت لهم الفلاح بخصالهم الحميدة في معاونة المهاجرين حتى فضلهم على أنفسهم وقدموا لهم ما كانوا هم في حاجة إليه وهو إيثار خله لهم الله في كتابه الكريم وسماهم المفلحين .

ثالثا : قيام الرابطة الدائمة بين السلف والخلف :

فقد علم الله الخلف أن يذكروا أسلافهم الصالحين ويخصوهم بالدعاء حين يدعون لأنفسهم فقد قال تعالى بعد الآيتين السابقتين : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وهو ما يعلمنا التعاون الدائم بصفاء النفوس حتى بين الأحياء والأموات من المسلمين . وفى هذه المناسبة ندعو بالمغفرة والرضوان لشهدائنا الذين جادوا بأرواحهم فساحة لشرف والجهاد فى الدفاع عن أوطان المسلمين ، وقديما قالوا :

الجود بالمال جود فيه مكرمة والجود بالنفس أقصى غاية الجود
فقد تعاون المهاجرين والأنصار وجاهدوا أعداءهم بأنفسهم
وأموالهم حتى تم النصر وبقيت كلمة الله عالية .

رابعا : حياة الشهداء عند الله :

يسقط الشهيد قتيلًا فى المعركة فيقول الناس إنه مات ، ويقول الله تبارك وتعالى إنه حى عندى وإن ظنه الناس ميتا ، وتجدون ذلك فى قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد

جمعوا لكم فآخسوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فأنقلبوا
 بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل
 عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم
 مؤمنين) فتأملوا كيف بين الله أنهم أحياء عند ربهم يرزقون بما لا تراه
 عيوننا ، وكيف يستبشرون بالذين يستشهدون من بعدهم ، وأعجبوا من
 شجاعة المقاتلين من أسلافكم فقد تحامل بعض الجرحى فى غزوة أحد
 على أنفسهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثانى
 من المعركة ليلقوا أهل مكة الذين انصرفوا بعد المعركة عن المدينة ، وقد
 سار رسول الله بأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد ولكن أعداءهم ولو
 مدبرين خوفاً منهم .

وما أروع استنصار المؤمنين بالله فى قولهم (حسبنا الله ونعم الوكيل)
 فإنهم تزودوا بها فى قرارة نفوسهم بيقين فى الله زادهم شجاعة إلى شجاعة
 وعدة إلى عدة ، ومن أنكر أثر المعنويات فى النفوس فقد جهل ولو كان
 استاذاً فى الجامعة ، وليرجع فى ذلك إلى المتخصصين من أطباء النفوس
 ليؤكدوا له ذلك الأثر الكبير ، ونحن نرى بالتجربة العملية أن تصرفات
 الغاضب غير تصرفات الراضى وأن أكل الحزين غير أكل المسرور ،
 وأن قوة الجبان غير قوة الشجاع ، وقديماً قالت العرب : ولا قرار
 على زأر من الأسد ، فسامع صوت الأسد يخاف ولا يستقر له
 قرار .

وقد أكد كتاب الله للمؤمنين أثر العامل النفساني في قوله تعالى :
 (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم
 والله جنود السموات والأرض وكان الله عليهما حكيمًا) والسكينة هى
 الطمأنينة التى تزيد المؤمن ثقة بالله وإيماناً على إيمان فلا يخاف من عدوه
 بل يلقاه ببطولة وثبات .

ولا يتنافى اليقين بالله مع اتخاذ أسباب النصر من العقاد الحربى
 والفنى فإنه تعالى أمرنا بانخاذ الأسباب مع حسن التوكل عليه فى النصر
 ليكون لنا على عدونا قوتان قوة السلاح المادى وقوة اليقين الروحى
 فقال تعالى : (وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
 به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا
 من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) .

الله أكبر :

لقد سرنى وأثلج صدرى ذلك الشعار الذى ارتفع به صوت جنودنا
 البواسل وهم يدكون حصون الأعداء فى خط بارليف فقد هتفوا
 بشعارهم المدوى " الله أكبر " وكانت أصواتهم تدوى دويًا عظيمًا غطى
 على دوى المدافع وأزيز الطائرات ، زادهم الله قوة وإيماناً ، ومجال
 القول واسع فى هذا المقام ولكنى اكتفى بهذا القدر القليل لثقتى فى
 إيمانكم ونور قلوبكم وعقولكم . أما أولئك المعارضون الذين يجادلون
 فى الحق بباطلهم فيكفى أن نقول لهم .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من

سقم

ولا يخفى على حضراتكم أن العقل محدود الأفق كالبصر ، وأما الروح فهي أوسع أفقا ، فأنت تشفق إلى أخيك أو صديقك وأنت بعيد عنه ولكنك لا تراه بعينيك ، وشوق الحبيب لحبيبه من أثر ارتباط الأرواح وهو من أمور البصيرة الخفية التي ترى ما لا تراه العيون (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور) وصدق سبحانه فى نفى العلم عن لا إيمان له فقد قال تعالى : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

خامسا : فضل المهاجرين على جميع المؤمنين :

فقد قدم الله فى القرآن الكريم المهاجرين على الأنصار وإن كان جميعهم محل رضوان الله سبحانه ، وحين فكر الأنصار عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مبايعة سعد بن عبادة رضى الله عنه قال لهم سيدنا أبو بكر بعد الاعتراف بأيوئهم ونصرهم : " ولكننا فضلنا فى القرآن عليكم " .

أما فى اختيار أبى بكر رضى الله عنه للخلافة فقد قال سيدنا عمر لناخبين : " أياكم يريد أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ، لقد رضى رسول الله لدينا ، أفلا نرضاه لدينا " أراد سيدنا عمر رضى الله عنه من كلمته هذه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد عليه المرض ولم يستطع الخروج للصلاة فى المسجد ، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه " مروا أبابكر فليصل بالناس " فاختره إماما على الصحابة نيابة عنه صلى الله عليه وسلم . وكذلك قال سيدنا عمر رضى الله عنه لناخبين : أياكم له هذه الثلاث : ثانى اثنين ، إذ هما فى الغار ، إن الله معنا . فبايع

الحاضرون بالإجماع سيدنا أبا بكر رضى الله عنه وعنهم أجمعين . فكان ثانياً
اثنين فى حكم الأمة الإسلامية بعد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سادسا : الهجرة بالدين اعتزازا بالإسلام وحفاظا عليه :

فإذا تعرض المسلم إلى إضعاف دينه ، وجب أن يهاجر إلى أرض يصون فيها
دينه ويقيم فرائضه وشعائره بين المسلمين ، ولا يجوز أن يعيش ذليلاً مع
أعداء الدين ، وقد أراد الله له العزة ، وقد ذم الله المتخلفين عن الهجرة
قبل فتح مكة حيث كانت الهجرة للمدينة فرضاً مفروضاً بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة
ظالمى أنفسهم قالوا فمى كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم
تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت
مصيراً) وعذر الله أصحاب الأعداء ممن تخلفوا قهراً عنهم عن الهجرة
فقال بعد ذلك : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم
وكان الله غفواً غفوراً) .

وقد وعد الله المهاجرين فى سبيل الله بتيسير أمره فقال تعالى بعد ذلك :
(ومن هاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن
يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره
على الله وكان الله غفوراً رحيماً) والمرغم هو المتحول إلى الخير والنعمة
فيرغم بذلك أنف من هجرهم من أعدائه وأعداء دينه .

وقد نزلت هذه الآية الأخيرة فى شأن ضمرة بن جندب الصحابى رضى الله عنه ، فإنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسلمى مكة بالآيات السابقة خاف أن يتخلف عن الهجرة بدون عذر فيكون من أهل النار ، فقال لبنيه رضى الله عنه وكان شيخا كبيرا : أحملونى فإنى لست من المستضعفين وإنى لأهتدى الطريق ، والله لا أبيت الليلة بمكة ، فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم من ضواحي مكة أشرف على الموت ، فصفق بيمينه على شماله ثم قال : اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبيبعك على ما يبيعك رسولك ، فمات حميدا ، فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لو توفى بالمدينة لكان أتم أجرا فنزلت الآية مبشرة بالمغفرة وقبول هجرته رضى الله عنه . ويقول العلماء كل هجرة فى غرض دينى من طلب تفقه فى الدين أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهى هجرة إلى الله ورسوله .

الهجرة المنعكسة فى الوقت الحاضر :

ومن أسف إن بعض شبابنا تنعكس هجرته فى وقتنا الحاضر ، فيهاجرون لكسب دنيا فانية وخسارة آخرة باقية ، مع أن الله علمنا أن نحذر الوقوع فى هذه المصيدة فقال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) فهم يختارون فى الهجرة دولا غير إسلامية جريا وراء إيراد مالى أكبر ، وهذه البلاد غير الإسلامية لا تساعدهم على إقامة حدود الدين بل تشجعهم على هدمها والاستهانة بها والتتكّر لها فيرتدون

على أدبارهم خاسرين العقيدة أو على الأقل فاسقين تستهويهم شهوات
الجسد التي تجرهم إلى اللهو واللعب والغفلة عن الله تعالى ، مع أنهم لو تدبروا
الأمر قليلا لرأوا أن الله نبهنا في صراحة واضحة أنه سبحانه خلقنا
للآخرة لا الدنيا فقال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو
القوة المتين) .

الجمع بين الحسنين :

وإنى أغبط شبابنا الذين هاجروا إلى بلادنا الإسلامية الشقيقة
فجمعوا بين الحسنين ، فكسبوا مالا وخدموا بخبرتهم المسلمين وحافظوا
على دينهم فجمعوا بين الحسنين ، والإسلام لا ينهانا عن السعى لكسب
المال الحلال وإنفاقه في وجوه البر ، وفرض علينا في أموالنا الزكاة التي
تؤخذ من أغنيائنا وترد على فقرائنا وهي موساة مفروضة . وقد حرص
عليها أسلافنا الأولون من قبل أن تفرض الزكاة بما آتاهم الله من نور
البصائر ورقة الشعور وقوة التعاطف الديني ، وقد مدح الله أبا بكر
الصديق رضي الله عنه فقال (وسيجنها الأتقى * الذي يؤتى ماله
يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى *
ولسوف يرضى) .

وقد نزلت هذه الآية في مدح سيدنا أبي بكر لأنه كان رضي الله

عنه قبل الهجرة يشتري بماله ضعاف العبيد المسلمين فيحررهم من ساداتهم الكافرين ابتغاء مرضاة الله تعالى . وقد قال ابن إسحق : كان بلال بن رباح عبدا لبعض بنى جمح ، وكان صادق الأسلام طاهر القلب ، وكان أمية ابن خلف يخرجته إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، فيقول بلال : أحد أحد ، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحد ينجيك (يعنى الله تعالى) ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : إن بلال يعذب فى الله ، فعرف أبو بكر الذى يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال له : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ قال : أنت أفسدته فانقذه مما نرى ، قال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه ، قال : قد فعلت ، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلال فأعتقه ، وكان قد أعتق ست رقاب على الإسلام قبل أن يهاجروا وبلال سابعهم (وكان ذلك قبل فرض الزكاة) .

سخاء الصديق لا يبارى :

ولا تعجبوا من سخاء أبى بكر ، فقد قدم لجهاد الأعداء كل ما ملكت يده من مال وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هذا كل مالى أقدمه لله عز وجل ، قال : وما الذى أبقىيت لعيالك يا أبا بكر ؟ قال : أبقىيت لهم الله ورسوله . يقول أمير المؤمنين عمر : وكنت قد

أخذت نصف مالى وقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، فوجدته قد قدم كل ماله قبلى فقلت له : أتعبت من بعدك ، لا أسابقك فى شئ بعدها أبدا .

من طرائف بلال :

ومن طرائف سيدنا بلال رضى الله عنه أنه مدح مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقال بالحبشية وهى لغته الأصلية :
أرى برا كنكرا كرا كرى مندره
فقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت رضى الله عنه : أنقلها إلى العربية ، فقال حسان فى ترجمتها :
إذا المكارم فى آفاقنا ذكرت فإنما بك فىنا يضرب المثل

سيادة بلال رضى الله عنه :

وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يقول معتزا ببلال رضى الله عنه وبمن أعتق بلال من الرق : رحم الله أبا بكر ، إنه كان سيدنا وأعتق سيدنا " وهى لفته كريمة يعلمنا بها أمير المؤمنين عمر رضى الله عه كيف رفع الله بالإسلام أقدار الفقراء حتى عبيدهم وضعافهم ، فهذا عمر القرشى يذكر بلال الحبشى بالسيادة ، فلا يفرق بين عربى وعجمى ، ولا بين قرشى وحبشى ، بل ويرفع العبد الحبشى إلى درجة السيادة . فما أروع دين الإسلام الذى كسر العصبية مع أنه خرج من بلاد العصبية .

فليتنبه أولئك الغافلون الذين يشيرون إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه ويقولون : محمد بن عبد الله ، فإن ذلك سوء أدب وانتقاص لقدرة أعظم المرسلين شأننا وأبقاهم دعوة ، وكيف ينسون قول الله تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم لبعضا) ولقد مدح الله أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لأنهما كانا يخفضان صوتهما عندما يخاطبان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (إن الذين يغيضون أصواتهم عند رسول الله أولئك امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا سأله عن شئ قالوا : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما كذا وكذا ، أى أفديك بأبى وأمى . وإن الله هدد بالكفر من يسيء الأدب معه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) فمن خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع صوته أستخفافا به صلى الله عليه وسلم أداه ذلك إلى الكفر المحبط للعمل والعياذ بالله . وإذا كان الله تعالى قد جعله سيد الأنبياء والمرسلين ، فكيف لا نذكره بالسيادة كما أراد الله .

العبرة والاعتبار :

إن احتفالنا بذكرى الهجرة وغيرها فى مناسباتها يجب أن يكون للعبرة والاعتبار ، لأنه تعالى يقول : (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى

(الألباب) كما يقول تعالى : (فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى)
 وقد نص علينا الله القصص وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم : (فاقصص
 القصص لعلمهم يتفكرون) وكذلك يقول سبحانه : (فاعتبروا يا أولى
 الأبصار) جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (أولئك
 الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) .

التاريخ الهجرى :

كان العرب قبل الإسلام يؤرخون بالحوادث الهامة كعام الفيل
 أو حرب البسوس أو غير ذلك ، واستمر ذلك إلى خلافة أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب حيث حدث أن شكاه له رضى الله عنه دائن مدينه الذى
 تعهد أن يدفع له الدين فى شهر شعبان فلم يفعل ، فتساءلوا أى شعبان هو
 المقصود ؟ الفأنت أو الحالى أو الآتى ؟ فاستشار أمير المؤمنين أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اختيار حادث يؤرخون منه فاتفقوا
 على حادثة الهجرة التى توالى بعدها انتصارات المسلمين على أعداء الدين
 ولئن كانت الهجرة فى ربيع الأول فإن أول العام الهجرى يبدأ بشهر
 محرم ، وهذا هو السبب فى الاحتفال بالهجرة فيه .

وكان الاتفاق على التاريخ الهجرى فى السنة السادسة عشر أو السابعة
 عشر من الهجرة المباركة .

التغنى بالأخوة الإسلامية :

وأخيرنختم المحاضرة بما تغنى به السيد المفضل " دل محمد الباكستاني " .
وقد كان عميدا للكلية الإسلامية بلاهور التي سينعقد فيها قريبا بإذن الله
مؤتمر القمة الإسلامي في إزاء واتحاد للتعاون في قضية الشرق الأوسط
بما يحقق صالح الإسلام والمسلمين ، وقد ترجم شعره إلى العربية صديقي
العبرى الشيخ الصاوى شعلان مد الله في عمره :

غرس الأخوة أصله من يثرب	هى جنة المأوى وغارسها النبي
إن ضلت الدنيا أعاد صوابها	نور المدينة لاشعاع الكوكب
بعث النبي بها الجماعة موكبا	فإذا الملائك فى صفوف الموكب
وسقى الأخوة كوثرًا من نوره	فالظامئ الحيران من لم يشرب
* * *	

والسابقون الأولون لحيه	قد خلفوا الأوطان والأوطارا
لم يذكروا مالا ولا ولدا ولا	زوجا ولا أهلا ولا أصهارا
تركوا جوار الظالمين فبدلوا	بالأهل أهلا والديار ديارا
يا فوز أحرار العقائد عندما	أهدى الإله إليهم الأبرارا
فإذا الجميع مهاجرون لجنة	وترى الجميع لدينه أنصارا
* * *	

قال النبي لقد بنيت إزاءكم	ووصيتى أن تحفظوا بنيانى
فإذا تفرقتم تبدد عقدكم	كتفرق الحصباء فى الميدان

نار العداوة من عذاب جهنم وحى التأخى جنة الرضوان

* * *

جعلوا الإخاء قرابة موصولة من دونها أمسى القريب بعيدا
 فاعجب لمن يعطيك آخر قوته مستخفيا كى لا يهين الجودا
 ويموت ظمأنا ليروى ظامنا وينال من حوض النعيم ورودا
 وترى كنوز العالمين كلاهما لك فى ازدياد إن أردت مزيدا
 ألا رضى الله عن السابقون الأولين من المهاجرين والأنصار الذين
 حركوا بخصالهم الحميدة وأخوتهم الإسلامية الصادقة مشاعر الشاعر حتى
 جادت قريحته بتلك الروائع .

جعلنا الله وإياكم على نهجهم وألحقنا بركبهم تحت راية سيد المرسلين
 صلوات الله وسلامه عليه أبدا الآبدين آمين .
 وأشكر لكم حسن استماعكم ، وكل عام وأنتم بخير من الدنيا والدين
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن كامل المطاوى

الأحد ٤ من محرم ١٣٩٤ هـ

٢٧ من يناير ١٩٧٤ م